موسم الذكريات

بيروت ، من جمال عباس :

بعودة تشرين عادت الحياة الثقافية الى بيروت، وكأن الدفء الذي ولّى من الجو خيّم على نشاطات الفكر والادب وبعث في عروقها الدماء بعد الصقيع الذي اعتراها خلال اشهر الصيف الطويلة .

فافتتحت الجامعات والمدارس موسمها الجديد ، وعمرت رفوف المكتبات بالكتب الجديدة ولم تعد محتوياتها مقتصرة على الكتب الدراسية الرتيبة ، واقيم مهرجان السينما الدولي ، وعقدت الطاولة المستديرة السنوية للسينما ، وراح فنانونا يعرضون ما عكفوا في الاشهر الاخيرة على انتاجه ، وجاءنا معرض كبير شامل للفن العراقي المعاصر بعد ان دار على كثير من العواصم الاوربية وكان مفتحا لعيون فناننا وجعلنا نأمل اكثر فاكثر في ان تزداد هذه الزيارات الثقافية ونتمنى الا يطول الوقت قبل قيام تبادلات فنية بيننا وبين سائر الاقطار العربية فنعرض عليها ما عندنا ولا تعرفه وتعرض علينا ما عندها ولا نعرفه ، واحيت جمعية اصدقاء الكتاب مهرجانها السنوي ، فوزعت فيه الجوائز واقامت لاسبوع معرض الكتب الجديدة، واقيمت مسابقات ملكات الجمال وعلى رأسها ملكة جمال لبنان، وقامت في «ملحق النهار» ومن ثم في بعض المجلات والصحف الاخرى حملة طويلة قوية طريفة تنادي باصلاح الاوضاع وتدعو بمعنى من المعاني الى استلام الادباء والفنانين للحكم، ونشطت ذاكرتنا نشاطا ملحوظا ـ فكان الموسم في الشهرين الاخيرين موسم الذكريات.

تذكرنا ان ربع قرن قد انقضى على وفاة امين الريحاني . والريحاني مع جبران خليل جبران و ميخائيل نعيمة اهم الوجوه في التاريخ الثقافي الحديث في لبنان ، وقد قيض الله له اخا وفيا له امينا لذكراه عقد النية على نقل رسالته للقراء بعد وفاته ، فعكف طوال السنين على نشر مؤلفاته ورسائله واقام متحفا له في قريته الفريكة يجمع كتبه واوراقه ورسومه والعديد من آثاره ومخلفاته الشخصية ، اصبح محجة يؤمها دارسو تاريخ الثقافة اللبنانية في النصف الاول من هذا القرن والباحثون في اعمال هذا المؤلف الذي عرف باسم « فيلسوف الفريكة » ، من « ملوك العرب » الى « تاريخ نجد الحديث » ومن « قلب لبنان » الى « قلب العراق» ومن « فيصل الاول » الى « المغرب الاقصى » ومن « الريحانيات » الى « انتم الشعراء » الى « المكاري والكاهن» الى ترجمة «لزوميات» المعري للانكليزية الى « كتاب خالد » بالانكليزية وسواها .

فاقام المجلس الثقافي للمتن الشمالي مهرجانا ضخما احتفاء بذكراه ، دام اسبوعا كاملا ، دعا اليه وفودا من الاقطار العربية المختلفة ومن كثير من الاقطار الاجنبية ايضا، ورتب سلسلة من المحاضرات العامة والندوات الخاصة عنه ، وازاح الستار عن تمثال له في الجامعة اللبنانية ، وسعى الى استصدار طابع بريد تذكاري له (واخفق في مسعاه ذلك). فعمل على قيام تظاهرة ادبية فكرية كبرى، متعددة اللغات والاتجاهات، تتناول بالبحث والنقاش اعمال وآثار هذا المفكر الشاعر الرحالة من جميع جوانبها وفي سائر مضامينها .

ان بادرة المجلس هذه بادرة حرية بالثناء والتقدير، لا مراء في ذلك . لكن اكان ضروريا ان تتخذ الدعوات والكلمات هذا الشكل « الرسمي » والجغرافي الذي اتخذته ؟ اكان ضروريا ان يأتي ممثلون عن الاقطار المختلفة التي وفدوا منها ، وكأنهم وافدون الى منظمة سياسية لا غنى عن ان تتمثل فيها كل دولة مهما كبرت او صغرت ومهما كان موفدوها يعرفون او لا يعرفون عن موضوع البحث ويزيدون

او لا يزيدون في معلوماتنا عنه؟ ولماذا لم تعنَ لجنة التكريم ، وهي التي اثبتت اهليتها في التنظيم والادارة على الرغم من حداثة سنها ، بان يكون الممثلون القادمون من البلدان الاخرى دارسين فعلا لفكر المحتفى به وادبه (ولا شك ان بين جامعيي وكتّاب كل بلد نفرا ممن يمكن اطلاق هذا اللقب عليهم) بدلا من ان تكتفي بان يمثّل كل بلد، وما هم بمن يمثّل ؟ لقد استمعنا الى الخطب المتعددة ، واستطعنا بكل وضوح وسهولة ان نكتشف ، الى جانب من كان يعرف ما يقول ، من كان يطلق تعميمات لا تفيد في كثير او قليل . وكنا ننتظر ايضا من لجنة التكريم ، وهي التي لم تكن فكرة احياء ذكرى الريحاني فكرة جديدة عليها لمعت في ذهنها فعملت على تطبيقها في الحال وبدون تخطيط وتصميم ، الا تنتظر حتى اللحظة الاخيرة لتدعو العلماء الاجانب الذين اعتادوا ان يتوقعوا دعوات سابقة للموعد بزمن طويل ليتفرغوا للبحث في موضوع اقترح عليهم اقتراحا، والا ترتجل في دعوتها لبعض رجال الفكر عندنا ليتحدثوا حديثا عميقا مطولا عن هذه الناحية او تلك في الريحاني ، فلا تطلب اليهم الحديث هذا الا واسبوع المهرجان قد ابتدأ والضيوف قد حلوا بيننا . ليس تكريما للريحاني ، او لغير الريحاني ، ان نجمع له الوفود من كل قطر ، يجلسون على منصة سامقة تحت الاعلام المرفرفة ، ونرهقهم بالمآدب السخية والحفلات المتتالية اياما عديدة متلاحقة ؛ انما تكريم الريحاني، او غير الريحاني ، ان نتمكن خلال مهرجانه من توفير عدد من النقاد ، ما همّ كثروا ام قلوا ومن اي قطر او اقطار جاؤوا ، يكونون قد درسوه فعلا ووصلوا في دراساتهم له الى نتائج ذات قيمة واهمية وابتكار، وان يبعثوا في نشئنا الجديد رغبة حقيقية في الاطلاع على نتاجه والبحث فيه وتقييمه، وان يقنعوه بان الريحاني ، بعد خمس وعشرين سنة من وفاته ، ما يزال جديرا بهذا كله .

وكان طريفا ان نرى النقاش يحتدم ، في اكثر من مناسبة ، حول مواقف الريحاني السياسية ، وبصورة خاصة حول عروبته ودعوته اليها والى الوحدة العربية . كان طريفا ان نرى اطرافا مختلفة تفتش في كتاباته عن آراء مختلفة يمكن تفسيرها تفاسير مختلفة. وكم كان من المفارقات ان نستمع الى المستشرق الايطالي ريزيتانو يقف بيننا ويخاطب امين الريحاني (الذي اسماه « فقيد العروبة »)قائلا: « يا لها من ساعة سعيدة لحضوري في موطنك ولمشاركتي في الاحتفال بذكراك اليوم ، بذكرى رجل نعتبره نحن المستشرقين – كما يعتبره المهتمون بالتاريخ المعاصر للشرق الادنى – برهانا من براهين القومية العربية وداعيا من دعاة الوحدة العربية وممثلا من المع ممثلي العروبة» – اقول ، كم كان من المفارقات ان نستمع الى المستشرق الايطالي يقول هذا، ثم بعد هذا ان نشهد بعض مفكرينا وادبائنا يتصدون للتحدث ويروحون يحاولون التقليل من اهمية هذا الوتر الرئيسي في تفكير الريحاني وآرائه السياسية ، والتخفيف ما استطاعوا من عروبة وعربية القائل : « انا عربي شرقي ثوري . عربي اللسان ، شرقي الروح ، ثوري المبدأ . انا عربي ، جنسيتي على لساني وفي وجهي وطيّ اضلعي. انا عربي رمل البادية عزيز عندي كدم ابنائها، وسيئات العرب اجمل في نظري من حسنات عبيد التمدن . انا عربي ماضي بلادي في فؤادي ، ومستقبلها نور من انوار ايماني ، وان قيل : حلم هو ، فنعم الحلم احلمه صباح مساء، عند اشراق الشمس وغروبها».

واذا كنا قد تذكرنا ان ربع قرن قد انقضى منذ وفاة احد رجالاتنا الكبار ، فقد تذكرنا ايضا ان ربع قرن قد انقضى منذ مولد احد منابرنا الكبرى ، واقصد بهذا المنبر مجلة « الاديب » . فلا يصدر هذا العدد من « حوار » الا ويظهر عدد « الاديب » الجديد في حلته التي عرفناها خمسة وعشرين عاما بطولها لم تتغير مرة عن نمطها الكلاسيكي البسيط الرائق ، يحمل في اعلاه تاريخه: « الجزء ١ ، السنة ٢٥ » .

والحق اننا اذا ذكرنا كم من المجلات الادبية عندنا تنشأ وتنمو وتشب وتذبل وتذوي ، كل هذا في غضون سنوات قليلة معدودة (واحيانا في غضون ما هو اقصر من ذلك) ، ادركنا المغزى الخطير والفضيلة الجلية في تمكن صاحب «الاديب» ورئيس تحريرها، الاستاذ البير اديب، من الاحتفاظ بمجلته هذا الزمن المديد . واذا ذكرنا ان المجلة الادبية لم

يعد ممكننا لها، في زماننا هذا، ان تعيش وتستمر اذا لم يقيض لها سند مالي منتظم ، كمؤسسة ثقافية تمدها بالعون خدمة للثقافة ، او كدار نشر كبرى، او كحكومة تصدرها هي او تغذيهـــا بالاعلانات الثمينة او ببدل اشتراكات كثيرة العـدد — وان «الاديب» لم تحظَ بمساعدة هذه او تلك او هاتيك، بـل ظلت على الدوام مجهودا فرديا ، ادركنا مدى التضحية التي ضحاها البير اديب ، بصمت وصبر ، هذي السنين الطوال ، ليحتفظ بمجلتـــه كما هي ، وليخرجها عددا بعد عدد ، لا تتوقف مرة عن الصدور ولا تتـأخر فيه ولا يقل عدد صفحاتها او يتدنى مستواها الطباعي . امـــا ان هذا لم يكن بالامر الهين عليه وانه تقاضاه الكثير ، من صحته ومن راحته ومن مـاله ، فمعروف ومدعـــاة للتقدير الابلغ .

تذكر لفيف من ادبائنا هذا ، وتـــذكروا ان « الاديب » مجلة متمدنة (بل ان المأخذ عليها انها متمدنة مسالمة اكثر مما ينبغي) تترفع عن كل حوار اقليمي وكل نقد جـارح وكل تزمت بغيض ، وان العالم العربي ، بسائر اقطاره ، لم يغلق ابوابه دونها يوما ؛ تذكروا ذاك الذي يجلس وراء مكتبه (الذي هو منزله ايضا) ليقوم بجميع مهام المجـلة ، فهو رئيس تحرير ومدير ومنقـح ومصحح ومشرف على الاشتراكات والمبيعات والاعلانات ، الى ما هنالك من الاعمال الكبيرة والصغيرة — كل ذلك طوال اعوام عديدة امتنع خلالهـــا عن تلبية اية دعوة لحضور مهرجان او مؤتمر ادبي ، فهمّه الوحيد ان تصدر مجلته ، كما يريدها ، في حينها وتصل الى كل مشترك والى كل جامعة ، حيث تعد « الاديب » مرجعا ادبيا وتاريخيا امينا لاهم الاحداث الثقافية ومنبرا لاعلام الادب والفكر وتعريفا بانتاجهم ؛ تذكروا ان كثيرا من المع الاسماء عندنا وعند سوانا من الاقطار العربية لم تعرف الا بعد ان احتضنتها « الاديب » وطوّرتها ؛ — فتسارعوا للكتابة عنه وعن مجلته ، واخذوا يعدون العدة لاحتفال كبير يقيمونه في مطلع العام له ولها .

وقد امل بعضنا ، خلال الاشهر الماضية ، ان تفاجئنا جمعية اصدقاء الكتاب ، التي تعلن عـــن جوائزها في اواخر تشرين الثاني (نوفمبر) من كل عام، بان تعلن عن فوز البير اديب بالجائزة الكبرى، جائزة رئيس الجمهورية . كنا نعرف ان املنا هذا سيظل على الغالب مجرد امل ، لان المقصود في هذه الجائزة ان تكون تتويجا لنتاج حيـــاة حفلت بالمؤلفات ، والبير اديب ذو اثر واحد هو مجموعته الشعرية « لمن » . لكننا ايضا كنا نرجو ان يحوّر في شروط الجائزة هذا العام، فيصبح بالامكان منحها لمن لم يكتب كثيرا وانما استكتب كثيرين ، ولمن لم يخلق كثيرا انما لولاه لقلت جدا خلائق الادب في السنوات الفـــائتة الخمس والعشرين . ليس من بين العاملين في حقل الادب من هو مظلوم ومن يغمط حقه في العادة اكثر من الناقد (« هل رأيت قط في اية ساحة تمثالا لاي ناقد ؟ ») — اللهم الا المحرر. رغم هذا (او لعله لاجل هذا) كنا نؤمل ، خلال الاشهر المـاضية ، ان يفوز محرر « الاديب » بالجائزة الكبرى .

غير ان الجائزة ، حين منحت ، منحت لمن هو اهل بها بحق . فنالها الاستاذ امين نخلة ، ونـــال الجائزة الكبرى الاخرى (جائزة لبنان في العالم) الاستاذ شفيق معلوف ، فكان في ذهاب الجائزتين الرئيسيتين الى شاعرين ، والى شاعرين في مستوى واهمية امين نخلة و شفيق معلوف ، تعويض عما كنا نؤمله ، وتعويض ايضا عن حرمان الادب ، ما عدا النقد ، هذه السنة من الجوائز التشجيعيـــة المختلفة التي اعلنتها جمعية اصدقاء الكتاب .

وتذكرنا ، ايضا ، ان لبنان ما زال من غير مسرح . امر لم يكن ليصدقه احد خارج لبنان ، وكان يجب الا يرضى به احد داخـــله . لقد لعب اللبنانيون دورا مهما في تاريخ المسرح العربي وفي نشأته في مصر ، لكن المسرح في لبنان ظل شيئا ثانويا جدا ، وظل المؤلف يشكو انعدام الفرق ، والفرق تشكو انعـــدام المخرج ، والمخرج يشكو انعدام قاعة المسرح، والمسرح يشكو انعدام الجمهور والمؤلف . في السنوات الاخيرة بدأت بوادر وثبة جديدة في الظهور ، وقامت عدة فرق حاولت ، رغم كونها مؤلفة من الهواة وغير المتخصصين ورغم العقبات المـــادية التي اعترضت المخرجين فيها ، ان تكسر هذه الحلقة المفرغة ، ان تنبه الجمهور الى

ضرورة قيام حركة مسرحية صحيحة ، وان تنبه المؤلفين الى هذا اللون من الادب الذي كانوا منصرفين عنه تمام الانصراف ؛ ونجحت في تحقيق هدفيها كليهما.

وفي الشهرين الاخيرين اكتملت الحلقة بانشاء مسرح في بيروت — او بالاحرى بانشاء مسرحين فيها في وقت معا . كان احدهما « مسرح بيروت »، الذي لن يقتصر نشاطه على المسرح وحده ، بل سيتعداه الى تقديم الحفلات الموسيقية وعروض الباليه والمحاضرات الفنية وسيكون مفتوحا امام سائر الفرق من لبنان ومن خارج لبنان من البلدان العربية . وثانيهما « المسرح الوطني الشعبي » الذي سيكون متخصصا بتقديم التمثيليات الفكاهية الكوميدية التي لن تخلو من عنصر التوجيه الاجتماعي.

موسم الجوائز

القاهرة ، من احمد رشدي حسين :

جوائز الدولة في القاهرة لها تاريخ طويل لا بد من التعرض له قبل اي تقييم للآثار الجديدة التي نالت الجائزة هذا العام . فلعل الجائزة الرسمية الوحيدة فيما قبل الثورة كانت جائزة المجمع اللغوي، التي ما تزال قائمة الى الآن . الا انه كانت هناك في مجتمع ما قبل ١٩٥٢ بعض الجوائز التي تهديها كبار الشخصيات الاجتماعية للادباء ، ولم يكن وزنها المادي او الادبي يقل عن وزن جائزة المجمع . والمثال السريع على ذلك « جائزة قوت القلوب الدمرداشية » . ولكن جوائز المجمع وجوائز الارستقراطية المصرية ، لم تكن تخضع في كثير من الاحيان للاسلوب الديمقراطي في التحكيم الادبي ، الذي يجعل للقيمة الفنية الاهمية الاولى والمعيار الرئيسي . فعلى طول تاريخ جائزة المجمع لم ينلها اديب ذو قيمة ادبية رفيعة ، باستثناء نجيب محفوظ الذي احدثت روايته « السراب » التي تقدم بها انشقاقا في لجنة التحكيم آنذاك . فقد رآها البعض مجرد قصة « اباحية » ، ورآها البعض الآخر قصة تستحق الجائزة. وكان العقاد على رأس المؤيدين لفوز نجيب محفوظ بالجائزة . لذلك اقترح حلا وسطا هو ان يمنح الروائي الجائزة على قصة اخرى لا سبيل الى اعتراض المجمع عليها ، — هي رواية « خان الخليلي » . وفاز محفوظ بالجائزة ، ولكن المجمع آلى على نفسه منذ ذلك الوقت (١٩٤٩) ان يكون حريصا على اموال الدولة فلا يغدق منها مائة جنيه على شباب صغار في سن نجيب محفوظ ولا على اعمال ادبية لا قيمة لها في نظر اعضاء المجمع ، كالقصص والروايات ، وامست جائزة المجمع شبه مقصورة على الشعر . اما جائزة قوت القلوب فلم ينلها من جيل نجيب محفوظ سوى محمد عبد الحليم عبد الله، عن قصته « لقيطة » .

ومنذ ان قامت ثورة تموز (يوليو) والدولة تكرم الادب رسميا في الجوائز والاوسمة التي تهديها للادباء . فقامت بانشاء « جائزة الدولة في الادب » التي نالها طه حسين والعقاد و توفيق الحكيم ونجيب محفوظ و محمد كامل حسين حتى عام ١٩٥٦ ، ثم قامت بانشاء المجلس الاعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، فتفرعت عنه جائزتان : احداهما « جائزة الدولة التقديرية » تمنح تتويجا للحياة الادبية او الحياة العلمية ، لا على عمل ادبي او علمي موسم الذكريات . لكن تذكر الماضي وحده لا يكفي ، ولا بد لنا ان نفتش في حاضرنا عما نلتقطه منه ونحتفظ به تذكارا للمستقبل . من كل ما سمعته ومن كل ما قرأته في الشهرين الاخيرين ، من على المنابر او الاذاعة او في الصحافة ، اعتقد انه ليس ثمة ما ستحب اوساطنا الادبية والفكرية والصحافية (خاصة في هذا الوقت) ان تبقيه في ذاكرتها اكثر من المقطع الآتي الذي تفوه به رئيس الوزراء في حفلة تذكارية في مدينة طرابلس — قال:

« اذا كانت الجرأة اقوى سلاح المرء ، فهي محببة في الاقلام — لان الاقلام مشرعة لا قيمة لها مغمدة. واذا كانت الزلفى رذيلة فابشعها في الاقلام — لان الاقلام شرها مستطير » .